استهلال

قال الإمام علي عليه السلام لرجل سأله أن يعظه :

لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل . ويرجي التوبة بطول الأمل . يقول في الدنيا بقول الزاهدين . ويعمل فيها بعمل الراغبين .

إن أعطي منها لم يشبع وإن منع منها لم يقنع . يعجز عن شكر ما أوتي ويبتغي الزيادة في ما بقي . ينهى ولا ينتهي ويأمر بما لا يأتي . يحب الصالحين ولا يعمل عملهم . ويبغض المذنبين وهو أحدهم . يكره الموت لكثرة ذنوبه . ويقيم على ما يكره الموت من أجله . إن سقم ظل نادما وإن صح أمن لاهيا . يعجب بنفسه إذا عوفي ويقنط إذا ابتلي . إن أصابه بلاء دعا مضطرا وإن ناله رخاء أعرض مغترا تغلبه نفسه على ما يظن ولا يغلبها على ما يستيقن . يخاف على غيره بأدنى من ذنبه . ويرجو لنفسه بأكثر من عمله . إن استغنى بطر وفتن وإن افتقر قنط ووهن . يقصر إذا عمل . ويبالغ إذا سأل . إن عرضت له شهوة أسلف المعصية وسوف التوبة . وإن عرته محنة انفرج عن شرائط الملة . يصف العبرة ولا يعتبر ويبالغ في الموعظة ولا يتعظ . فهو بالقول مدل ومن العمل مقل . ينافس في ما يفنى . ويسامح في ما يبقى . يرى الغنم مغرما والغرم مغنما . يخشى الموت ولا يبادر الفوت . يستعظم من معصية غيره ما يستقل أكثر منه من نفسه . ويستكثر من طاعته ما يحقره من طاعة غيره . فهو على الناس طاعن ولنفسه مداهن . اللهو مع الأغنياء أحب إليه من الذكر مع الفقراء . يحكم على غيره لنفسه ولا يحكم عليها لغيره . يرشد غيره ويغوي نفسه . فهو يطاع ويعصي ويستوفي ولا يوفي ويخشى الخلق في غير ربه ولا يخشى ربه في خلقه ..

قال الرضي - جامع نهج البلاغة : ولو لم يكن في هذا الكتاب إلا هذا الكلام ، لكفى به موعظة ناجعة ، وحكمة بالغة ، وبصيرة لمبصر ، وعبرة لناظر .